

جدل الزمان والمكان وعقب أبريل

قراءة في قصيدة (المناجيل سوف تأتي) لمحمد محي الجوين

بقلم: عز الدين محمد علي
بيئة النص: أبريل وسفر التكوين:

في جدل الزمان/ الثورة قاطرة التاريخ وبين الثورة في قلوب الجماهير والقصيدة في قلب الشاعر جسر من التواصل الحي ومواتيظ ظرفية وموضوعات تنقلب في مداد الذات وتترامق في فضاء العام والجمعي، وعندما تكتمل الحلقات الدائرية تصل القاطرة إلي محطة من التاريخ في مدادات السياسة والفن والإجتماع ويقف الشاعر كذلك ينشد قصيدته، وشاعرنا «محمد محي الدين» شاعر متمرد وثائر، ولد في مدينة مدني وتلقى فيها دراسته حتي الثانوية ودرس بمعهد الموسيقى والمسرح سابقاً ثم نال دبلوم التربية من بخت الرضا وعمل بالتدريس ومجال التوجيه التربوي، وحاله وإنما كان فظة ثورة.. فهو ذو حساسية وإستعداد خرج به أخيراً من أقصاه إلي يسار/ الوسط ولايزال بالذم ضارياً، وله إعتبارية أدبية وإبداعية متميزة ويطواري شعر ومسرحيات، تحدث عنها النقاد في السبعينيات والثمانينيات ونشر د. عمر محمد عبدالكريم دراسة مطولة عن ديوانه،الرجيل على صوت قاطمة.. ويقدم الآن مساهمته الإبداعية في مجال النقد والإبداع والادب والمسرح في إذاعة وتلفزيون الجزيرة ومندوبات المدينة ومافتا يشد الحيل ماأستطاع وينشر الرحيق.

العزف علي صدر العبيبة:

ينبسط المشهد العاطفي عند "محمد محي الدين"؟؟ وجدانه ويفور؟؟ بنض القلوب النائرة ويحطم قيود الأسر وأنماط السجون ينشد فضاء الحرية الواسع ويصعد مراقبي الإنعتاق بكسر خشبة صلبة، وينداح في الفضاء الإنساني يرفض برودة الحزن وسلطان المكان وينتثر بدفء الحب فوق فجر محبوبته يحرك أصابعه الرقيقة فوق صدرها الناهد يعزف أغنية التحرر والتمرد نائراً يتحرق كالشهاب ويحيا في مدارات السديم قائلًا في جذاله مستساعة:

أيها المصلوب كالنجم عل الموجة يكفيك ترجل أرفض الحزن الذي ما اخترته.. طوعاً ستنقي نابضاً يشهد ميلاد الرياح وأنظر الساحة تاتيك تمهل أغنيات ما علاها الصدا المدفون في قلب الزمان.. كلمات رفضت أن ياسر الدافق في إيقاعها برد المكان.. ويتعالى في روحه إرهاس الكوني وشارات المستقبل والتدفق قصيدته تشق بميلاد الفرح



الجديد وعقب القادم ويقف الشاعر مضطراً "كابي الطبيب" يامر وينهي في ملكة القريض حينما خلج المكان بالأزيز وأحتشد الشعب في "أبريل ١٩٨٥م" إستنشق العبير وطفح قلبه بالعشق، أسقط الزمان فوق المكان والذاتي علي الموضوعي وأحب محبوبته بمزاج نائر وعشقها بروح العقل الجمعي منتقيا مفرداته من الجمر ونحت تأثير الزمان والمكان الذي يموج بالتمرد تخبر في عشق محبوبته أعلى الذرى وصدق في نبرة قوية تعتمد إخبارية المراسل الثوري والشاعر المتلفح بعباءة شعبه والجماهير فقال:

أهجر العشق الذي لايشعل الساحة
أنهار صخب ما يكون العشق؟! إلا في اتحاد البرق بالأررض التي .. تمنح القبلة في ليل التعب
ومايضي الحب الآفي عيون عرفت سر الغضب..

وبحسه الإجتماعي ليمتوافق مع بيئته يسجل الشاعر موقفه الشخصي ويعبر عنه إبداعياً ممجداً الجماهير وإنسان الريف الذي مافتا تبهده الشمولية دائماً بالشعارات وترهقه وتنتقي من داخله أفراداً؟؟ عليهم المال وتضمهم إلي حلفائها في المدينة تعتلق في حناجرهم الداوية وخطابهم السياسي حلم الجماهير وإرادة التغيير فينادي الشاعر أهل الريف مستنجداً:

أيها القادم من أنفاس أعماق الحكايات.. ومن؟؟ القرى المهجورة!!
تجدد مايמות النغم المحفور في الذكري إذا إهتز الوتر فانشد الأغنية الأولى وفي العشق تفرّد..

الضمير الثوري العام مؤكداً ما أفرزته أبريل في خطاب الذات الإبداعي للمتقنين وأسئلت لبيان الصورة الجديدة قالب العاشق؟؟ للحبيبة الانثي التي تتفني ولها وتطرز له المناديل فيحدثها حديث العاشقين متمسكاً بروح الموضوعية فيقول لها منتشياً بالنصر: فاهجر الحزن الذي لايتحويك..

وأترك الوعد الذي لايشتهيك..
وأنظر الساحة ليلاً
فجأة يندلق الشوق ويهتز الوتر
يصطفيك العشق صدقاً يحتوي نجمك..
وتأتيك المناديل الوضيئة

والشاعر في أبيات عجز القصيدة لخص مكابته الشخصية.
وتداعيات الحال السياسي وفرحة الإنتظار الذي يحقق في أبريل ١٩٨٥م وقلب الشاعر صورة الحدث في إحتشاده الوجداني مقابلاً بين إنتظارين، الأول إنتظار الجماهير لنتائج فعلها السياسي والثاني إنتظار العاشق لمحبوبته وخرجت الصورة هنا وهناك من مخاض عسير يفيد بالحالة النفسية للجماهير والشاعر الذي تأثر بالمزاج الثوري العام الذي أفرزته أحداث إنتفاضة أبريل ١٩٨٥م وكان إنعكاس الحدث السياسي يسيطر علي ذات الشاعر ويملي عليه حالة التفاؤل والترقب والإنتظار الذي فاقت به إستهلاكية وعجز القصيدة، ومثله نجده في دلالة العنوان الذي يقتر ظاؤلاً.

تطريزات ملونه في مناديل الشاعر:

لاتقرأ قصيدة "المناديل ستاتي" إلا بزائفة مصاحبة للحدث السياسي في أبريل ١٩٨٥م والقصيدة تفتح عالماً بلا حدود من التفاؤل والعود المرتجاء في فضاء الذات الإنساني للشاعر وتقدم البشارة في محصلة العشق وجلب الأمل مؤكدة إمكانية الإنصار في مشروع الثورة والعدل الإجتماعي، وتمثل القصيدة حالة نفسية موثقة لعاشق مكابد ولثائر أمضاه الإنتظار ، ويستلمح في بنائية القصيدة صورة؟؟ بدر شاكر السياب وأجواه النفسية في الكتابة ومعاناة القصيدة ذات الرؤيا والمضون الذي ينداح يقدم فضاء الذات والموضوع في ثوب قشيب، وبأخذك معه للتسافر عبر الزمان والمكان ويهيكك ذهنياً لحالة من المؤامه والتفاؤل الذي فجره في نفس الشاعر الحدث السياسي الشهير الذي جاء عقب إنتظار طويل..

وينقل الشاعر في نهار أبريل وفي شمس الثورة يصف اللوحة في مشهدها الثقافي ويصل به الشوق مداه فينزل من قطار التاريخ المنطلق إلي محطات التغيير في قلب المدينة ويتجول هنا وهناك في عمق الوطن.

ويتنقل الإسراع الرحب في قلب الشاعر ويبقي في الذاكرة كوة صغيرة بحجم النافذة تطل منها حبيبته وتهديه مندبلاً، وبعدها تنتشر الفتيات كالعصافير في المدينة الوطن ويقفن عند الأبواب ينتظرن العشاق، وتموج دلالة الشاعر لانتفضع حول الثورة والتغيير والإنتصار المفضي للحرية التي يشدها الشاعر ويحتويها في دلالة مفرداته الشعرية تاركا المفردة في سياق جزالة اللغة تتراقص في ملاءة من المناديل الوضيئة، وينقلنا إلي لحظات التلاقي الشفيف والعشق قائلًا:

أيها القابض جمر الشوق

ألف الشبابيك تناديك فالترحل تناديك المناديل الوضيئة
وعلي كل العيون الليل في الليل تمدد ومايجي الحي إلا فجأة..

تهتّز كل الدور وترتاح العصافير علي الأوبواب
يمضي زمن الربع
ويمنو في العبادات الوثوق..
ينثر الفجر ضياء الأمن في الساحة
والشط بنادي رائعاً
يلتقي العشق جهراً
؟؟ الموج ويختال الشروق..

وفي عجز القصيدة وقف الشاعر يحكي عن إنتصار الجماهير ويدعم روح الإنصار في

قـرارات لكـ

أميل ، بصفتي ناقدة ، إلي محاورة النص في رؤيته للعالم الذي يبينه فنياً . أسأل : لماذا علي ، بحكم منهج ما ، أن أقبل مايقوله النص ، أو أن يتفرد النص بالنظر إلي العالم الذي نشترك في تعاملنا معه ، أو الذي اختلف في رؤيتي له . أعتقد أن على النقد أن يحاذر الوقوع في سلطة النصوص ، أو أن ينزع إلي تقسيمها .



يهمني النظر إلي النص بإعتبار المرجعي الحاضر فيه « معناه » ما بين سياقه ويشكل منطقته الداخلي في مسعاها الفني لصيلغة مقاصده والإيهام بحقيقتها . بعبارة أخرى يهمني إنتاج معرفة بالنص الأدبي هي في الرواية ، مثلاً ، الحكاية التي يسبح السرد عالمها الفني المتخيل . وبذلك يكون على النقد أن يقارب هذا الفني . أي جماليات هذا العالم المارق لرجعيته ، المختلف ، القادر على توليد متعة القراءة ولذتها .

(د. يمني العيد - في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية)

عامل التحضر والإكتظاظ السكاني في المدن على الحياة الإجتماعية جنباً إلي جنب مع مشكلات جهاز الدولة البيروقراطي في أدائه وعلاقاته الداخلية ، ومعجلة القضية الديمقراطية في الحياة السياسية ، ومقدرته على حل الضيق الإقتصادي أزمة كبرى تأخذ بخناق جمهور المستهلكين ، من ذوي الدخل الضعيف وفقراء المدن والغالبية الكاسحة من المزارعين والعمال والرعاة .

(بروفيسور محجوب التجاني - موسوعة سودانية في العدالة الجنائية والإجتماعية)

ملاحظة أن اللغة العربية التي لم تكن مفروضة رسمياً تنتشر بسرعة (تحت أشكال محددة نوعاً ما مثل عربي جوبا واللغة العربية المحلية الخاصة بشمال السودان) ، لكنه ما أن تم فرضها بالقوة ، خلق ذلك حركة مقاومة معتبرة . في ذلك الوقت كانت إتفاقية أديس أبابا حبر على ورق ولم تكن منفذة فعلياً . ولقد زرت مدارس من المفترض أن يكون التدريس فيها باللغات المحلية لكن الواقع أنه في المدارس والكتائس والإذاعات المحلية كان العربي المحلي مستخدماً بشدة وكان يبدو أن عربي جوبا ينتشر بنفس سرعة إنتشار اللغات الأفريقية المحلية ، أن التعريب من القاعدة الذي عم كل أنحاء البلاد هو مادفع للإحساس بان اللغات السودانية أصبحت « لغات مهددة » بالإنقراض .

(كاترين ميلر - الوضع اللغوي بالسودان : التطور والتحديات)

الحقوق الثقافية

المادة ٢٧

(١) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الإستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والإستفادة من نتائجه.

(٢) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني. الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

المادة ١٥

١. تقر الدول الأطراف في هذا العهد بان من حق كل فرد :
أ . أن يشارك في الحياة الثقافية؛
ب . أن يتمتع بفوائد التقدم العلمي وبتطبيقاته؛
ج . أن يفيد من حماية المصالح المعنوية والمادية الناجمة عن أي أثر علمي أو فني أو أدبي من صنعه.
٢. تراعي الدول الأطراف في هذا العهد ، في التدابير التي ستتخذها بغية ضمان الممارسة الكاملة لهذا الحق ، أن تشمل تلك التدابير التي تطلوها صيانة العلم والثقافة وإنماؤهما وإشاعتهما.
٣. تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد باحترام الحرية التي لا غنى عنها للبحث العلمي والنشاط الإبداعي.
٤. تقر الدول الأطراف في هذا العهد بالفوائد التي تجني من تشجيع وإنماء الاتصال والتعاون الدوليين في ميداني العلم والثقافة.

العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

المادة ٢٦

حرية العقيدة والفكر والرأي محفولة لكل فرد.

المادة ٢٧

للأفراد من كل دين الحق في ممارسة شعائرهم الدينية، كما لهم الحق في التعبير عن أفكارهم عن طريق العبادة أو الممارسة أو التعليم وبغير إخلال بحقوق الآخرين ولا يجوز فرض أية قيود على ممارسة حرية العقيدة والفكر والرأي إلا بما نص عليه القانون.

المادة ٣٦

لكل فرد حق المشاركة في الحياة الثقافية وحق التمتع بالأعمال الأدبية والفنية وتوفير الفرص له لتنمية ملكاته الفنية والفكرية والإبداعية.

الميثاق العربي لحقوق الإنسان

المادة ٥

١. إن الثقافة، وهي نتاج البشر جميعاً وتراث مشترك للإنسانية، والتربية بأوسع معانيها، تقدمان للرجال والنساء وسائل للتكيف متزايدة الفعالية لا تتح لهم أن يؤكدوا أنهم يولدون متساوين في الكرامة والحقوق فحسب بل تمكنهم أيضاً من أن يعترفوا بأن عليهم واجب احترام حق كافة الجماعات في أن تكون لها هويتها الثقافية الخاصة وفي تنمية حياتها الثقافية التي تميزها داخل الإطارين الوطني والدولي، علي أساس أن من المفاهيم علي أن لكل جماعة أن تقر بنفسها وبمئل حريتها الحفاظ علي القيم التي تعتبرها من المقومات الأساسية لهويتها والقيام بما تراه مناسباً من تكيف لهذه القيم أو إثراء لها.
٢. علي الدول، وفقاً للمبادئ والإجراءات الدستورية لكل منها، وكذلك علي جميع السلطات المختصة وجميع العاملين في التعليم، مسؤولية السهر علي جعل الموارد التربوية لجميع البلدان تستخدم في مكافحة العنصرية بالإستيباق، علي وجه أخص، من كون مناهج التعليم والكتب المدرسية تنطوي علي نظرات علمية وأخلاقية بشأن وحدة البشر وتنوعهم ولا تشتمل علي أي تمييز يسيء إلي أي شعب، وتبثريب المعلمين علي تحقيق هذه الغايات، ويجعل موارد النظام التعليمي متاحة لكافة فئات السكان بلا قيد أو تمييز عنصريين. وبتأخاذ تدابير مناسبة لمعالجة أوجه القصور التي تعاني منها بعض الفئات العنصرية أو الإثنية عي صعيد مستواها التعليمي أو المعيشي، وخصوصاً لتفادي انتقال أوجه القصور المذكورة إلي الأطفال.
٣. تحت وسائل إعلام الجماهير والمهيمين عليها والعاملين في خدمتها، وكذلك جميع الفئات المنظمة داخل المجتمعات الوطنية، علي العمل -مع المراعاة التامة للمبادئ التي ينص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ولا سيما مبدأ حرية التعبير- علي تعزيز التفاهم والتسامح والود فيما بين الأفراد والجماعات، وعلي الإسهام في استئصال العنصرية والتمييز والتحيز العنصريين وخصوصاً بالامتناع عن تقديم صورة للأفراد أو لبعض الجماعات البشرية نمطية القالب أو مغرضة أو أحادية الجانب أو متحيزة. ويتحتم أن يكون الاتصال بين الجماعات العنصرية والإثنية عملية متبادلة تمكنها من التعبير عن ذاتها ومن إسماع صوتها علي أكمل وجه وبمطلق الحرية. ومن ثم ينبغي لوسائل إعلام الجماهير أن تنسج مجالاً حراً لما يقدمه الأفراد والجماعات من أفكار تيسر هذا الضرب من الاتصال.
الإعلان العالمي بشأن العنصر والتحيز العنصري (اعتمده وأصدره المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في دورته العشرين، يوم ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٧٨)

٣. للمتحلف عقلياً حق التمتع بالأمن الاقتصادي وبمستوي معيشة لائق. وله، إلي أقصى مدى تسمح به قدراته، حق في العمل المنتج ومزاولة أية مهنة أخرى مفيدة.

٤. ينبغي، حينما كان ذلك مستطاعاً، أن يقيم المتخلف عقلياً مع أسرته ذاتها أو مع أسرة بديلة، وأن يشارك في أشكال مختلفة من الحياة المجتمعية. وينبغي أن تحصل الأسرة التي يقيم معها علي مساعدة. فإذا اقتضت الضرورة وضعه في مؤسسة وجب أن تكون بيئة هذه المؤسسة وظروف الحياة فيها علي أقرب ما يستطاع من بيئة وظروف الحياة العادية.

الإعلان الخاص بحقوق المتخلفين عقلياً المادة ٦

٢. جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية متلاحمة ومترابطة، وينبغي إيلاء الأهتمام علي قدر المساواة لإعمال وتعزيز وحماية الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. والنظر فيها بصورة عاجلة.

٣. ينبغي للدول أن تتخذ خطوات لإزالة العقبات التي تعترض سبيل التنمية والناشئة عن عدم مراعاة الحقوق المدنية والسياسية، فضلاً عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الإعلان العالمي بالحق في التنمية المادة ٢

٢- لكل شخص الحق في الاشتراك بحرية في الحياة الثقافية للمجتمع.

٣- النهوض بالأخلاقيات العامة والقيم التقليدية التي يعترف بها المجتمع وحمايتها واجب على الدولة في نطاق الحفاظ على حقوق الإنسان.

المادة ٢٠

٣- جميع الشعوب الحق في الحصول على المساعدات من الدول الأطراف في هذا الميثاق في نضالها التحرري ضد السيطرة الأجنبية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم ثقافية.

الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب

المادة ١٧

٢- لكل شخص الحق في الاشتراك بحرية في الحياة الثقافية للمجتمع.

٣- النهوض بالأخلاقيات العامة والقيم التقليدية التي يعترف بها المجتمع وحمايتها واجب على الدولة في نطاق الحفاظ على حقوق الإنسان.

المادة ٢٠

٣- جميع الشعوب الحق في الحصول على المساعدات من الدول الأطراف في هذا الميثاق في نضالها التحرري ضد السيطرة الأجنبية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم ثقافية.

الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب